هَا أَنَا وَصَلْتُ إِلَىٰ مَرْكَزِ الْحَامِي فَمَاذَا أَفْعَلُ؟؟؟

الكَاتِبُ

أَبُو مَشْكُورِ عَبْدُ الشَّكُور بِنُ عليٍّ بن عبْدِ اللَّهِ

الصومَالِيّ الإِسْرَافِيلِيّ حَفِظَهُ اللَّهُ

يوم الأربعاء ((٢٣/صفر/١٤٣٨))

ها أنا ذا وصلت إلى مركز الحامي فماذا أفعل؟:

فقد سألني كثير من إخواني من طلاب العلم في هذا المركز الطيب عن منهجية طلب العلم، وكيف يطلبون العلم في هذه الدار دار الحديث بالحامي، ويسيرون مع إخوانهم سيرا حسنا وكأن لسان حالهم يقول : "ها أنا ذا وصلت إلى مركز الحامي فماذا أفعل؟" وكنت أوجههم على ما أراه أنهم ينتفعون به ولما يسر الله لي انتهاء ما قصدته في هذه الرسالة المختصرة أحببت أن أردفها بنصائح مختصرة ألخص فيها ما أراه أنه ينجح به طالب العلم في سيره إلى مقصوده وغايته، وقد كتب في ذلك مؤلفات عديدة وكتب كثيرة، ولعل من أحسنها كتاب الشيخ الفاضل المجاهد أبو حاتم سعيد بن دعاس المشوشي.

وأول ما أنصح به طالب العلم في هذه الدار أن يشكر الله عز وجل الذي يسره الله بمجيء هذه الدار وطلب العلم عند أهلها فإنه وسيلة من وسائل الجنة لما رواه مسلم في صحيحه برقم (2699) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال": وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ"

ثم يذهب إلى الشيخ ويستأذن منه لكي يطلب العلم عنده " وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا"

ثم يشاور أهل بلاده والمستفيدين منه ويسأل عن جدول المركز وأحواله وينظر الأحوال نحو ثلاثة أيام، ولا يدخل درسا ولا يبدأ حفظا فبعد ذلك يجلس مع نفسه ويخبرها أنها لو نجحت في طلب العلم لنجحت في الدنيا والآخرة، ويجعل لها جدولين جدول عام من بداية طلبه للعلم إلى الموت وجدول خاص بما يعمل في هذا الشهر أو بعدها من الشهور قليلا.

قال الشيخ المفضال أبو حاتم بن سعيد بن دعاس المشوشي في المنهجية في طاب العلم (ص/١٨٥) :"ومن أقرب المحافظة على النهمة في طلب العلم، تنظيم الوقت، وترتيبه، حفظا، وبحثا، ودراسة، ومطالعة، وكتابة، وترك العشوائية، والاقتصار على قدر الطاقة والاستطاعة، لأن عدم المراعاة لهذه الأمور في طلب العلم مدعاة الملل والضجر واليأس"

ويمكن أن تجعل هيئة الجدول العام كالتالي:

الحفظ	الدروس	المطالعة	التدريس	تجريد المطولات	التصنيف

ولا بد أن تكون أعمالك مقسّمة من بداية الطلب إلى نهايته وهو الموت فتسجل في دفترك ما تريد أن تحفظه وتدرسه وتتخصص به وكيف تطالع كتب الفنون، ولابد أن ترتب الدروس والفنون الأهم فالأهم ثم ما تحب أن تطالع من المطولات كمجموع الفتاوى والمحلى وغيرهما مما تراه، وهذا ينبغي أن تؤخره ولو بعد عشر

سنين من الطلب وقد رأيت من أذكياء الطلاب من يكتب ويسجل التأليف الذي يريد أن يؤلف في كل الفنون وهو في أوائل الطلب.

وأما هيئة الجدول الخاص فيمكن أن يكون كالتالي بمناسبة جدول المركز:

اليوم	بعد الفجر إلى الشروق	بعد الشروق إلى الضحوة	بعد الضحوة إلى ٩:٠٠	بعد ٩:٠٠ إلى ١٠:٣٠	بعد الساعة ١٠:٣٠ إلى أذان الظهر	بعد الظهر إلى الغداء	بعد الغداء إلى العصر	بعد العصر إلى ٤:٠٠	وهكذا فقس
السبت	حفظ القرآن	تسميع القرآن	ـــــــ	ـــــــ	ـــــــ	تفسير البغوي (درس الشيخ)	–	بلوغ المرام (درس الشيخ)	
الأحد	ـــــــ	ـــــــ	ـــــــ	ـــــــ	ـــــــ	ـــــــ			
الإثنين	ـــــــ	ـــــــ	ـــــــ	ـــــــ	ـــــــ				
الثلثاء	ـــــــ	ـــــــ							
الأربعاء	ـــــــ	ـــــــ							
الخميس	ـــــــ	ـــــــ							
الجمعة	ـــــــ								

ومما أنصح به لطالب العلم في هذه الدار أن يقبل على العلم إقبالا كليا، وأن يفرغ أوقاته كلها للعلم وتحصيله فإنه لاينال العلم إلا من اجتهد فيه غاية الاجتهاد ويبذل ما يستطيع بذله {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ}{اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ}

وقال ابن جماعة في التذكرة (ص/٦٢-٦٣) في آداب طالب العلم: " دوام الحرص على الازدياد بملازمة الجد والاجتهاد والمواظبة على وظائف الأوراد من العبادة والاشتغال والإشغال قراءة وإقراء ومطالعة وفكرًا وتعليقًا وحفظًا وتصنيفًا وبحثًا. ولا يضيع شيئًا من أوقات عمره في غير ما هو بصدده من العلم والعمل إلا بقدر الضرورة من أكل أو شرب أو نوم أو استراحة لملل أو أداء حق زوجة أو زائر، أو تحصيل قوت وغيره مما يحتاج إليه أو لألم أو غيره مما يتعذر معه الاشتغال فإن بقية عمر المؤمن لا قيمة له ومن استوى يوماه فهو مغبون وكان بعضهم لا يترك الاشتغال لعروض مرض خفيف أو ألم لطيف بل كان يستشفى بالعلم ويشغل بقدر الإمكان"

وأنبهك أنه قد تجد فتورا في بعض الأيام فلا تعجب ولا تعاتب نفسك فكلنا ذاك الشخص ويكثر هذا عندنا أيام الرطوبة التي قال عنها الشاعر القيسي

إذا ما البحـــرُ فيْ الحاميْ تنفّس *** كسانا بالرطـــوبةِ شرّ ملبس

قال الإمام ابن القيم في مدارج السالكين (١٣١/٣): "فالطالب الجاد لابد أن تعرض له فترة، فيشتاق في تلك الفترة إلى حاله وقت الطلب ولاجتهاد"

***

العلم له ثلاث ملكات:

اعلم- أخي-وفقك الله- أن العلم له ثلاث ملكات لا رابع لها الحفظ والفهم والاستحضار، وجمعها الشاعر بقوله:

آه على فهم وَحفظ وَأَن *** استحضر الْأَشْيَاء فِي وَقتهَا

فأول ما تبدأ به العلم هو الحفظ وهو ذو أهمية كبيرة وفائدة عظيمة في طلب العلم بل هو ركن أساسي للعلم.

وأول ما تبدأ به الحفظ هو حفظ كتاب الله عز وجل الذي هو كل العلوم يقول ابن عبد البر في (جامع بيان العلم وفضله) (٢ص321): "فَأَوَّلُ الْعِلْمِ حِفْظُ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَتَفَهُّمُهُ وَكُلُّ مَا يُعِينُ عَلَى فَهْمِهِ فَوَاجِبٌ طَلَبُهُ مَعَهُ وَلَا أَقُولُ :إِنَّ حِفْظَهُ كُلَّهُ فَرْضٌ وَلَكِنِّي أَقُولُ :إِنَّ ذَلِكَ شَرْطٌ لَازِمٌ عَلَى مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ عَالِمًا فَقِيهًا نَاصِبًا نَفْسَهُ لِلْعِلْمِ لَيْسَ مِنْ بَابِ الْفَرْضِ".

وقال النووي -رحمه الله- في المجموع :(633/1) : "وَأَوَّلُ مَا يَبْتَدِئُ بِهِ حِفْظُ الْقُرْآنِ الْعَزِيزِ فَهُوَ أَهَمُّ الْعُلُومِ وَكَانَ السَّلَفُ لَا يُعَلِّمُونَ الْحَدِيثَ والفقه إلا لمن حفظ الْقُرْآنَ"

فإن وجدت في نفسك إقبالا عليه، وأنه سهل عليك فلا تبدأ معه شيئا آخر، وأكثر المراجعة فيه، واجتهد فيها قدر ما تستطيع بدون تكلف، وإن وجدت أنه يصعب عليك الحفظ بعد الإكثار من قراءته فابدأ معه (الأربعين النووية)، وبعض الدروس السهلة كالخط و مسائل التوحيد ونحوها.[١٤]

فإن يسر الله لك حفظ القرآن فاشكر ربك فإنه أعطاك فضلا عظيما، وفضلك على كثير من عباده، وابدأ **بحفظ الحديث سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.**

قال الشوكاني رحمه الله في أدب الطلب ":(101) فَاعْلَم أَن أعظم الْعُلُوم فَائِدَة وأكثرها نفعا وأوسعها قدرا وأجلها خطرا علم السّنة المطهرة فَإِنَّهُ الَّذِي تكفل بِبَيَان الْكتاب الْعَزِيز ثمَّ اسْتَقل بِمَا لَا ينْحَصر من الْأَحْكَام".

قال الخطيب رحمه الله في الجامع في آداب الراوي والسامع" (111/1) "ثُمَّ الَّذِي يَتْلُو الْقُرْآنَ مِنَ الْعُلُومِ أَحَادِيثُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسُنَنُهُ، فَيَجِبُ عَلَى النَّاسِ طَلَبُهَا إِذْ كَانَتْ أُسَّ الشَّرِيعَةِ وَقَاعِدَتَهَا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا}"

قال ابن أبي العز الحنفي في الاتباع (ص88): "فَالْوَاجِب على من طلب الْعلم النافع أَن يحفظ كتاب الله ويتدبره، وَكَذَلِكَ من السّنة مَا تيَسّر لَهُ ويطلع مِنْهَا".

---

١٣. وبعد كتابتي لهذه سمعت من شيخي المبجل تفصيلا جيدا وهو أنك-طالب العلم -إذا كنت مكلفا بالغا فابدأ مع حفظ القرآن أن تدرس الأشياء الواجبة عليك كمثل ما يتعلق بالصلاة ومسائل التوحيد والعقيد، وإن كنت صغيرا غير مكلف فاكتف بحفظ القرآن، وهو تفصيل لا ينبغي العدول عنه.

فابدأ أولا بحفظ الأربعين النووية ولا تستقلل منه فإن التعلم بالتدرج أنفع، وقد وجد في كثير من العلماء في ترجمتهم أنهم حفظوا الأربعين النووية.

فإن قلت إن حفظي أوسع وأكثر من أن أحفظ الأربعين النووية؛ لأني أستطيع أن أحفظ في اليوم عشرين حديثا.

قلت: ما المانع أن تحفظ الأربعين في يومين ثم تنتقل منه إلى كتاب آخر.

فإن انتهيت من حفظ الأربعين النووية فابدأ عمدة الأحكام لعبد الغني المقدسي فإنه كتاب عظيم جمع فيه أصول أدلة الفقه ولا تستقلل منه كذلك فقد حفظه ابن الملقن وابن حجر والسيوطي وغيرهم من أهل العلم الأكابر كما في تراجمهم.

وبعد ذلك فلك الاختيار، وانظر ما تميل إليه نفسك فإن كانت تميل إلى الوعظ فاحفظ رياض الصالحين وإن كانت تميل إلى الفقه فاحفظ بلوغ المرام، وإن كان عندك همة وكنت ممن يسر الله عليه الحفظ فابدأ حفظ مختصر صحيح مسلم للشيخين أبي عمر الحجوري وزايد الوصابي ثم أفراد البخاري للشيخ أبي عمرو المسمى (تلبية الأماني) ثم الصحيح المسند للإمام الوادع، وهكذا إن يسر لك الله الحفظ فاحفظ أفراد السنن وما ترى أنه نفع لك.

فإن قلت :إلى متى أستمر في الحفظ؟

قلت: إلى المقبرة فلا يصلح لطالب علم أن ينقطع عن الحفظ مهما كان عمره وكيف كانت منزلته، فعليك أن تعطي كل يوم من عمرك ساعة للحفظ ولو قليلا

وقد شاهدنا من علمائنا من جاوز الستين ويحفظ الأحاديث والآثار ويدور في مكتبته، وهذا هو الإمام ابن مالك صاحب الألفية يحفظ قبل أن يموت بدقائق بعض العلوم، فقد ذكر المقري في نفخ الطيب في ترجمته 2/22) وما بعدها: أنه حفظ عدة أبيات في يوم موته حدها بعضهم بثمانية لقنه إياها ابنه.

وهكذا كان حال السلف في الطلب وكانوا يقولون" : طلب العلم من المهد إلى اللحد" ففي الحث على الاجتهاد في طلب العلم لأبي هلال العسكري أن ابن سيرين قال : "ومازال قتادة متعلما حتى مات".

هذا هو حفظ الأحاديث، ولابد أن يحفظ معها المتون المختصرة من كل فن، فلابد لطالب الغاية والنهاية أن يكون له مختصر يحفظه من غالب الفنون حتى يكون عالما بإذن الله.

قال الإمام النووي رحمه الله في المجموع (١/ ص633): "وَبَعْدَ حِفْظِ الْقُرْآنِ يَحْفَظُ مِنْ كُلِّ فَنٍّ مُخْتَصَرًا وَيَبْدَأُ بِالْأَهَمِّ".

وقال بكر بن عبد الله أبو زيد في الحلية (ص/١٥٥): "فأمامك أمور لابد من مراعاتها في كل فن تطلب: حفظ مختصر فيه"....

فانتهينا من هذه الملكة الأولى من العلم وهي الحفظ، وخلاصة الكلام أن **الحفظ على ثلاثة أنواع:**

حفظ القرآن وحفظ الأحاديث وحفظ المتون العلمية.

ولو زاد الشخص حفظ بعض أشعار العرب والخطب الجاهلية حتى يستعين بفهم كلام الله وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ويستعين بكتاباته فأمر جيد وقد شاهدنا من علمائنا الشيء الكثير يستشهدون بأشعار في مجالات متنوعة {وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا}.

والاستحضار نعمة من نعم الله على عباده فترى حافظ القليل يستحضر ما لا يستحضره حافظ الكثير وأحسن ما يوصى لطالبه: أن يجتهد الشخص في تقوى الله ويجتنب المعاصي ويجد بإذن الله عون الباري جل وعلا له وقد شاهدنا من شيخنا يحيى حفظه الله الشيء الكثير من ذلك {وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا }.

وأما ملكة الفهم فهي التي يجب أن يجتهد فيها طالب العلم,ويجعل أكبر همه فإن الحفظ بدون فهم ودراية لاينفع شيئا ونقل عن الإمام أحمد أنه قال: "معرفة الفقه أعجب إلي من حفظه"

ولقد أحسن من قال:

لئن رمت تحصيلا بصادق نية ** فأكثر له درسا وفرّغ له قلبا

وصدّق له قولا وشمّر لحفظه ** وجرّد له وهما ونقّح له لبّا

قال العلامة صديق حسن خان في الحطة في ذكر الصحاح الستة ص(27): "الْحِفْظ غير الملكة العلمية وَمن كَانَ عنايته بِالْحِفْظِ أَكثر من عنايته إِلَى تَحْصِيل الملكة لَا يحصل إِلَى طائل من ملكة التَّصَرُّف فِي الْعلم وَلذَلِك ترى من حصل الْحِفْظ لَا يحسن شَيْئا من الْفَنّ وتجد ملكته قَاصِرَة فِي علمه إِن فاوض أَو نَاظر وَمن ظن أَنه

الْمَقْصُود من الملكة العلمية فقد أَخطَأ وَإِنَّمَا الْمَقْصُود هُوَ ملكة الاستخراج والاستنباط وَسُرْعَة الِانْتِقَال من الدوال إِلَى المدلولات وَمن اللَّازِم إِلَى الْمَلْزُوم وَبِالْعَكْسِ فَإِن ضم إِلَيْهَا ملكة الاستحضار فَنعم الْمَطْلُوب وَهَذَا لَا يتم بِمُجَرَّد الْحِفْظ من أَسبَاب الاحتضار وَهُوَ رَاجع إِلَى جودة الْقُوَّة الحافظة وضعفها وَذَلِكَ من أَحْوَال الأمزجة الخلقية وَإِن كَانَ مِمَّا يقبل العلاج نقل الرَّازِيّ عَن الْحُكَمَاء أَن الْفَهم وَالْحِفْظ لَا يَجْتَمِعَانِ على سَبِيل الْكَمَال لِأَن الْفَهم يَسْتَدْعِي مزِيد رُطُوبَة فِي الدِّمَاغ وَالْحِفْظ يَسْتَدْعِي مزِيد يبوسة فِيهِ وَالْجمع بَينهمَا على سَبِيل التَّسَاوِي مُمْتَنع عَادَة شعر

آه على فهم وَحفظ وَأَن *** أستحضر الْأَشْيَاء فِي وَقتهَا".

وتحصيل هذه الملكة بثلاثة أشياء:

الدروس والتدريس وكثرة المراجعة مع الإخوان، بمعنى أنك تدرس وتدرّس ما استفدت من الفنون مع دراستك مع مشايخك؛ فبهذا تحصل على هذه الملكة، وتكون بارزا بإذن الله عز وجل وإذا تعجبت من ذلك فاسمع كلام الشوكاني في (البدر الطالع) يحكي عن نفسه: "وَكَانَ يبلغ دروسه فِي الْيَوْم وَاللَّيْلَة إِلَى نَحْو ثَلَاثَة عشر درسا مِنْهَا مَا يَأْخُذهُ عَن مشايخه وَمِنْهَا مَا يَأْخُذهُ عَنهُ تلامذته وَاسْتمرّ على ذَلِك مُدَّة".

فإن قلت: ما هي الفنون والدروس التي أدرسها حتى أكون عالما؟.

قلت: قد أشرت الدروس المهمة التي يدرس من كل الفنون ص(٢٩-٣٩) فراجعه وأما الفنون والعلوم فألخص لك تلخيصا جميلا حتى يجتمع لك الذهن،

فأقول :إن العلوم تنقسم إلى قسمين: علوم آلة وعلوم غاية.

فعلوم الغاية أربعة :القرآن وتفسيره، الحديث وشروحه، والعقيدة، والفقه ومذاهبه.

وأما علوم الآلة فهي العلوم التي يتوصل بها إلى تلك العلوم، وهي كثيرة، مجملها أربعة:

الأول :اللغة العربي، ويدخل فيها اثنا عشر علما مجموعة في قول الشاعر:

صرف بيان معاني النحو قافية**شعر عروض اشتقاق الخط إنشاء

محاضرات وثاني عشرها لغة** تلك العلوم لها الآداب أسماء

والأهم منها :النحو والصرف والبلاغة والأدب والإملاء والعروض.

الثاني: أصول الفقه وقواعده.

الثالث: مصطلح ويدخل فيه العلل ومعرفة حال الرواة.

الرابع: علوم القرآن ويدخل فيها التجويد وأصول التفسير ونحوها.

فإن قيل: فصل لي هذه الفنون التي ينبغي دراستها، وما عددها؟

قيل: سبعة عشر علما وهي: توحيد الألوهية ومجمل الاعتقاد والنحو والصرف والبلاغة والأدب والإملاء والعروض والقوافي والمصطلح وأصول الفقه والقواعد الفقهية والفرائض وأصول التفسير والتجويد والقراءات وعلوم القرآن والسيرة والفقه، هذه تفاصيلها ولا تسكثر فإن الطالب المجتهد قد يتخلص منها نحو خمس سنوات أي الذي يدرس في مثل هذه المراكز؛ ولأن بعضها يكفي من دراستها كتاب واحد بل بعضها بالمطالعة. فليس بواجب أن تجلس لكل فن عند مدرس حاذق.

وهذه العلوم كلها يحتاج إليها الشخص الذي يريد أن يكون عالما من علماء المسلمين وبينها ترابط عجيب فلا ينفك علم عن علم آخر، وبهذا يبين لك ابن خلدون في مقدمته(ص/١٨٩) بقوله: "أصناف هذه العلوم النقلية كثيرة، لأن المكلف يجب عليه أن يعرف أحكام الله تعالى المفروضة عليه وعلى أبناء جنسه، وهي مأخوذة من الكتاب والسنة بالنمق أو بالإجماع أو بالإلحاق، فلا بد من النظر في الكتاب :ببيان ألفاظه أولاً، وهذا هو علم التفسير، ثم بإسناد نقله وروايته إلى النبي صلى الله عليه وسلم الذي جاء به من عند الله، واختلاف روايات القراء في قراءته، وهذا هو علم القراءات، ثم بإسناد السنة إلى صاحبها، والكلام في الرواة الناقلين لها، ومعرفة أحوالهم وعدالتهم ليقع الوثوق بأخبارهم، ويعمل ما يجب العمل بمقتضاه من ذلك .وهذه هي علوم الحديث. ثم لا بد في استنباط هذه الأحكام من أصولها من وجه قانوني، يفيدنا العلم بكيفية هذا الاستنباط، وهذا هو أصول الفقه .وبعد هذا

تحصل الثمرة بمعرفة أحكام الله تعالى المكلفين، وهذا هو الفقه .ثم إن التكاليف :منها بدني، ومنها قلبي، وهو المختص بالإيمان وما يجب أن يعتقد مما لا يعتقد .وهذه هي العقائد الإيمانية في الذات والصفات وأمور الحشر والنعيم والعذاب والقدر .والحجاج عن هذه بالأدلة العقلية هو علم الكلام .ثم النظر في القرآن والحديث لا بد أن تتقدمه العلوم اللسانية، لأنه متوقف عليها وهي أصناف .فمنها علم اللغة وعلم النحو وعلم البيان وعلم الأدب، حسبما نتكلم عليها كلها".

ومن أراد التخصص في بعض العلوم فينبغي له أن يقسم العلوم إلى خمسة ويختار واحدا منها حتى يكون تخصصه جملة من العلوم لا علما واحدا والأقسام الخمسة هي:

١-علوم الفقه فيدخل فيه الفقه ومنه الفرائض وأصول الفقه والقواعد الفقهية

٢-علوم اللغة ويدخل فيها النحو والصرف والبلاغة والأدب والعروض والقوافي والإملاء وهذه أهم علوم اللغة.

٣-علو العقيدة فيدخل فيها ما يتعلق بالتوحيد والصفات ومجمل الاعتقاد وينبغي له الاعتناء بكتب السلف ومعرفة الفرق

٤-علوم القرآن ويدخل فيه التجويد وأصول التفسير والقراءات وفن الرسم وغيرها مما يتعلق بكتاب الله عز وجل

٥-علوم الحديث ويدخل فيه المصطلح والعلل ومعرفة حال الرواة ومراتبهم وشروح الأحاديث.

يقول الشوكاني في أدب الطلب (ص/٤٣): " فَمن عرف الْفُنُون وَأَهْلهَا معرفَة صَحِيحَة لم يبْق عِنْده شكّ أَن اشْتِغَال أهل الحَدِيث بفنهم لَا يُسَاوِيه اشْتِغَال سَائِر أهل الْفُنُون بفنونهم وَلَا يُقَارِبه بل لَا يعد بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ كثير شَيْء فَإِن طَالب الحَدِيث لَا

يكَاد يبلغ من هَذَا الْفَنّ بعض مَا يُرِيدهُ إِلَّا بعد أَن يفنى صباه وشبابه وكهولته وشيخوخته فِيهِ وَيَطوف الأقطار ويستغرق بِالسَّمَاعِ والكتب اللَّيْل وَالنَّهَار وَنحن نجد الرجل يشْتَغل بفن من تِلْكَ الْفُنُون الْعَام والعامين وَالثَّلَاثَة فَيكون معدودا من محققي أَهله ومتقنيهم".

ويقول الإمام ابن الجوزي في صيد الخاطر (ص/١٧٧):عظم دليل على فضيلة الشيء النظر إلى ثمرته، ومن تأمل ثمرة الفقه، علم أنه أفضل العلوم. فإن أرباب المذاهب فاقوا بالفقه الخلائق أبدًا، وإن كان في زمن أحدهم من هو أعلم منه بالقرآن أو بالحديث أو باللغة. واعتبر هذا بأهل زماننا؛ فإنك ترى الشاب يعرف مسائل الخلاف الظاهرة، فيستغني، ويعرف من حكم الله تعالى في الحوادث مالا يعرفه النحرير من باقي العلماء! وكم رأينا مبرزًا في علم القرآن، أو في الحديث، أو في التفسير، أو في اللغة لا يعرف -مع الشيخوخة- معظم أحكام الشرع، وربما جهل علم ما ينويه في صلاته! على أنه ينبغي للفقيه ألا يكون أجنبيًّا عن باقي العلوم، فإنه لا يكون فقيهًا، بل يأخذ من كل علم بحظ، ثم يتوفر على الفقه، فإنه عز الدنيا والآخرة".

الجدول المرتب في كل الفنون:

واعلم أنه لا بد لطالب العلم أن يفعل لنفسه جدولا مرتبا في دراسة الفنون، وهناك خمس عمليات لا بد أن يعمل بها كل من يريد أن ينجح في الفن الذي يطلبه، وهي:

الأول :أن يجعل لنفسه كتبا يدرسها عند إخوانه ويرتبها ترتيبا جيدا وكل مدرس له رأيه الخاص في الترتيب بحسب من يدرس عنده وقد قدمنا ما يدرس في كل فن ص(٢٩).

قال النووي في المجموع (١/ص٦٣٣): " ثُمَّ يَشْتَغِلُ بِاسْتِشْرَاحِ مَحْفُوظَاتِهِ وَيَعْتَمِدُ مِنْ الشُّيُوخِ فِي كُلِّ فن أكملهما فِي الصِّفَاتِ السَّابِقَةِ فَإِنْ أَمْكَنَهُ شَرْحُ دُرُوسٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ فَعَلَ وَإِلَّا اقْتَصَرَ عَلَى الْمُمْكِنِ مِنْ دَرْسَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ وَغَيْرِهَا".

الثاني: أن يجعل لنفسه كتبا يطالعها مع زميله ويراجعها معه وذكر ما يطالع منها أرى أنه ليس بجيد؛ لأن طالب العلم إذا درس الفن وفهمه فلا شك أنه سيعرف كتب المطالعة منه، ويختار منها ما شاء.

قال صديق حسن خان في (أبجد العلوم) (ص١٢٢):"المطالعة :النظر في الكتاب بفهم المراد والخلل".

والمطالعة تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

١ـ مطالعة بتمعن وهي المرادة هنا.

٢ـــ ومطالعة تصفح، وهي: تصفح الكتاب كاملا أو النظر في مقدمته وفهرسه، وهذه تستعمل كثيرا ليسهل الرجوع إلى مباحثه، والله أعلم

٣ـ ومطالعة يراد بها جرد المطولات وهذه تكون بعد أخذ الفنون وإلا فلا يستفيد الشخص منها كبير شيء.

قال الشيخ بكر أبو زيد في (الحلية) (ص): "الجرد للمطولات من أهم المهمات، لتعدد المعارف وتوسيع المدارك واستخراج مكنونها من الفوائد والفرائد والخبرة من مظان الأبحاث والمسائل ن ومعرفة طرائق المصنفين في تأليفهم واصطلاحهم فيها.وقد كان السالفون يكتبون عند وقوفهم: "بلغ"، حتى لا يفوته شيء عند المعاودة، لا سيما مع طول الزمن".

الثالث :أن يجعل لنفسه كتبا يطالعها مع نفسه ويرتبها أيضا.

قال النووي في المجموع (١/ص٦٣٣):

"وَيَنْبَغِي أَنْ يَبْدَأَ مِنْ دُرُوسِهِ عَلَى الْمَشَايِخِ :وَفِي الْحِفْظِ وَالتَّكْرَارِ وَالْمُطَالَعَةِ بِالْأَهَمِّ فَالْأَهَمِّ".

الرابع :أن يحفظ منه متنا شاملا لغالب أبوابه ومسائله.

قال العلامة السعدي في بهجة قلوب الأبرار (ص٤٤):" وتعيين ذلك يختلف باختلاف الأحوال .والحالة التقريبية :أن يجتهد طالب العلم في حفظ مختصر من مختصرات الفن الذي يشتغل فيه. فإن تعذر أو تعسر عليه حفظه لفظاً، فليكرره

كثيراً، متدبراً لمعانيه، حتى ترسخ معانيه في قلبه. ثم تكون باقي كتب هذا الفن كالتفسير والتوضيح والتفريع لذلك الأصل الذي عرفه وأدركه، فإن الإنسان إذا حفظ الأصول وصار له ملكة تامة في معرفتها هانت عليه كتب الفن كلها :صغارها وكبارها. ومن ضيع الأصول حرم الوصول".

الخامس :أن يقبل على متن من متون الفن الذي يطلبه فيجعله أصلا يعلق عليه ويجمع الفوائد في حواشيه حتى يكون كالشرح، ويكون كالبحث الجامع لمسائل ذلك الفن.

وبهذا تتم العمليات الخمسة في كل الفنون، وأظن أنه إذا أتقن الطالب من كل الفنون بهذه العمليات الخمسة مع توفيق من الله جل وعلا أنه يكون بإذن الله إماما من أئمة المسلمين وعالما من علمائهم {وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا }.

***

وقد حان أن نختم الموضوع، ونختصر بالمقصود، وقبل أن أغادر المقام أقدم شكري الجميل، على من أعانني بإخراج هذه الرسالة، وبذل وقتا بمراجعتها من مشايخي الأجلاء وأحبابي الفضلاء، وأخص بالذكر منهم شيخي العالم الكريم أبا بلال الحضرمي، وشيخي الجليل أبا محمد عبد الحميد الحجوري والشيخ المفضال أبا حمزة الرازحي وأخي الكريم أبا عبد الرحمن عبد الله بن جمال بن أحمد الصومالي حفظهم الله ورعاه ونسأل الله عز وجل أن يكتب لي ولهم الأجر ويعفو عن الزلل إنه على كل شيء قدير.

ومن يصادف هفوة فليصلحا ** بعد تأمل لها وليصفحا

فقد جمعته على استعجال ** مع غربتي عن أهل ذي المجال

انتهى ما تيسر كتابته بهذه العجالة

بدار الحديث بالحامي

يوم الأربعاء (٢٣/صفر/١٤٣٨)

كتبه أخوكم: أبو مشكور عبد الشكور بن علي بن عبد الله الصومالي الإسرافيلي

حفظه الله ورعاه وجعل الجنة مثواه.